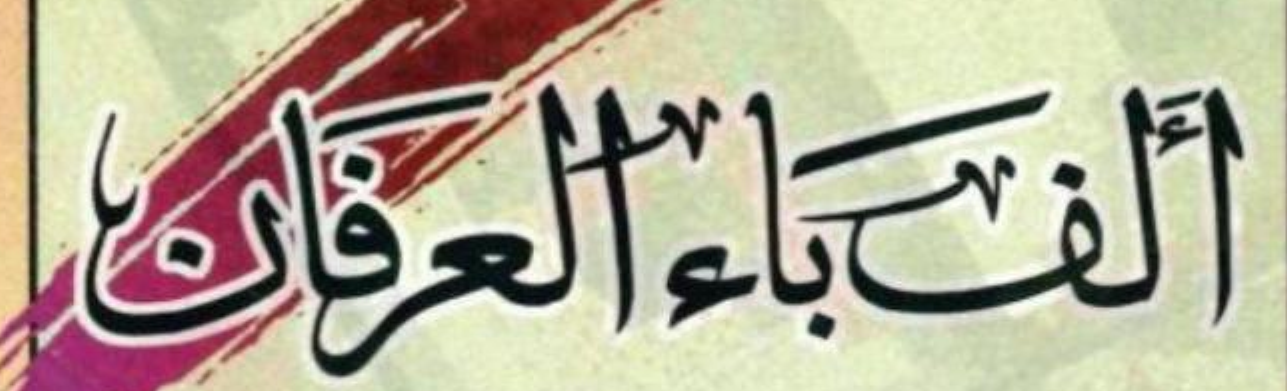
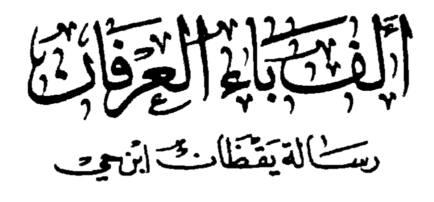


ألف باء العرفان

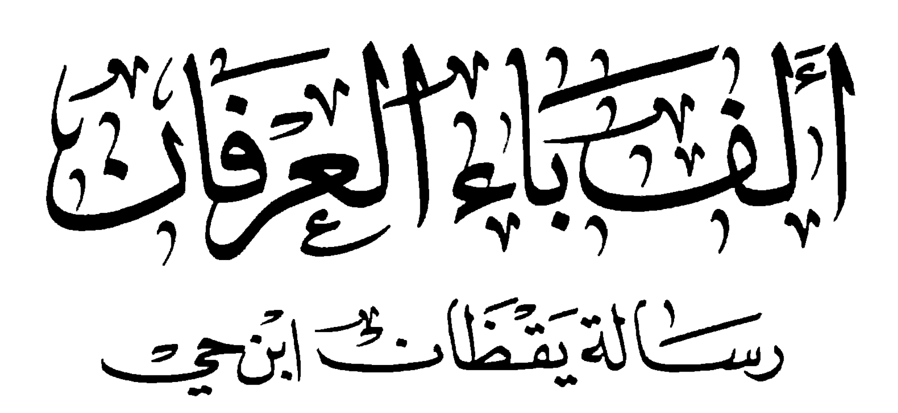
رسالة يقظان ابن حي

بقلم
سيد تقي السيد حسين الموسوي

دار المحجة البيضاء


ألفباء العرفان
رسالة يقظان ابن حي





بقلم
سيد تقي السيد حسين الموسوي

دار المحجة البيضاء
دار الرسول الأكرم

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - حارة حريك - ص.ب: ١٤/٥٤٧٩

ت: ٠٢/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

المقدمة

باسمه وبعونه وقوته وحوله نتطرّق إلى موضوع طالما تطرّق إليه الفلاسفة الأقدمون من أمثال ابن طفيل وابن سينا في رسالتيهما المسمتين (حي ابن يقظان) ومن العرفاء الأقدمين من أمثال شيخ الإشراق شهاب الدين السهروردي في رسالته (الغربة الغربية). أمّا الذي بعث الحياة في هذه الفكرة العظيمة في العصر الحديث فهو العارف الكبير شيخي ومعلمي المرحوم صادق العنقاء (قدّس سرّه) في رسالته المسماة (نيروان). ونحن على خطى تعليماته نخاطب هذه الفكرة مرة أخرى وهي نفس الفكرة التي خاطبها القرآن الكريم في سورة التين وخاطبها نبينا العظيم محمّد ﷺ في حديثه الشريف: «خلق الإنسان على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه».

وخلاصة الفكرة هي دعوة الإنسان إلى الرجوع والتوبة إلى فطرته وهي الدين القيم الذي ذكره الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾ (سورة الروم الآية ٣٠). وأمر الله

جار في الوجود ويسمعه ويلبيه موجودات ملكوتية رغم هبوطهم في أسفل سافلين كما ذكرتها سورة التين ورغم إقامتهم المؤقتة في معبد الشيطان وبيت المعاصي والغفلة ومنزل الرغبات والشهوات.

ونحن نخاطب هؤلاء الأحرار الذين ظلموا أنفسهم بأن لا يقنطوا من رحمة الله وأن يقيموا وجوههم للدين حنيفاً فطرة الله. . . وسلوانهم في ذلك كلام الله المجيد: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ (سورة الزمر الآية ٥٣) وحديث نبينا محمّد ﷺ: «إنَّ الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإنَّ الرجل ليعمل عمل أهل النّار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنّة». وحديثه ﷺ: «إنَّ الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنَّة ثم يختم له عمله بعمل أهل النّار، وأنَّ الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النّار ثم يختم عمله بعمل أهل الجنّة».

وكم من أمثال الحرّ بن يزيد الرياحي متواجدون هنا وهناك تنتظرهم اليد الرحيمة لانتشالهم من مستنقعات الغفلة والسقوط، وتأتي اللحظة المناسبة فينتبهون من غفلتهم ويستيقظون من سباتهم ويندمون على العمر الذي ضيعوه في معبد الشيطان ومرتع الرغبات والشهوات وبلاد الغفلة وبيت المعاصي والآثام. فتبرز الفطرة الصافية ويجيب داعي الله ويتلقى التعليمات العلوية ويمارسها

وتتفتح عيون بصيرة وآذان واعية سميعة في باطنه وتبزغ شمس المعرفة وتتضاءل صفات الغفلة ويختفي حب الدنيا ويستأنس بذكر الله ويستقر طود اليقين ويدخل ملكوت الله فيولد هناك مرة أخرى مولوداً جديداً عاشقاً ومحباً لله وفي جوار ومصاحبة أنبيائه وأوليائه. وهذا هو الكنز الذي يهدف إليه العرفاء وهو الكنز الذي ذكره الله في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»، وهو الفناء في الله والبقاء بالله في أعلى عليين ﴿يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ (سورة الأحقاف الآية ٣١).

والإنسان مخلوق عجيب غريب يولد أبيض ناصعاً على الفطرة ولكن له قابلية التعامل مع الطبيعة عن طريق حواسه الخمس فيتلون بألوانها المختلفة أبعد ما تكون عن الصفاء والبياض والشفافية. فحياته في طفولته تتسم بأوصاف الفطرة من الصدق والابتعاد عن الزيف والزور ومن البراءة والخلوّ من الشهوات ومن رغبات أساسية خفيفة ومن الاستقامة والشفافية والخلوّ من تعقيدات الشخصية ومن المرونة والقابلية السمحة للتعلّم ومن الابتعاد عن مظاهر العجب والكبر والغرور ومن كل الأخلاق الشفافة البعيدة عن التعقيدات والتعصبات. ثم ينحرف عن كلّ ذلك رويداً رويداً بما يتلقن من إيحاءات من محيطه وبيئته ومن

الطبيعة التي حواليه من أنواع الزيف والكذب والرياء والحقد والكراهية والكبر والغرور والأنانية وحبّ المال والشهوات وغيرها من مظاهر الفهم الخاطىء والمعوج. وما يستثنى من ذلك إلاّ القليل من عباد الله الصالحين وهم الأنبياء والأئمة المعصومون ممن سبقت لهم من الله الحسنى وممن أوتوا قابلية عجيبة لعدم التعامل مع الطبيعة ومتغيراتها فهم في أمان وعصمة عن التلقينات الخاطئة الجاهلة التي تتجافى عن الفطرة والثوابت، وذلك بمدد إلهي ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ (سورة الإنسان الآية ٣١).

أمّا أكثرية الناس فيقعون طوال عمرهم في حبائل هذه الذنوب والآثام التي اكتسبوها اكتساباً ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (سورة المطففين الآية ١٤) وقلّما تستيقظ ضمائرهم لنداء الوجود المدوي في أعماقهم والذي يدعوهم إلى العودة والتوبة إلى فطرتهم وإلى البراءة والتحرّر من الشهوات والرغبات والالتحاق والاتصال بخالقهم. إنَّ هناك القليل الذين يستيقظون من سباتهم وغفلتهم وتنهض هممهم للمجاهدة للتخلّص من أغلال المادة وجاذبية الشهوات وقفص الجهل والكسل فيبدؤون طريق العودة إلى خالقهم ويستسيغون الروحانية والطيران في ملكوت الله في جهاد رائع وما أروعه من جهاد. ولكلّ من هؤلاء قصة خاصة بهم ونسرد هنا قصة من هذه القصص هي قصة (يقظان بن حي).

جزيرة الفردوس

ولد يقظان بن حي في جزيرة خضراء في المحيط الهندي كانت تلقّب بجزيرة الفردوس في عائلة روحانية يمارسون هداية الناس والقضاء في أمورهم الدينية. وكانت العائلة متوسطة الحال ولكنها محاطة بهالة من الاحترام من قبل الأغنياء والفقراء. وكان خامس أولاد العائلة وحظي بكثير من الحبّ والحنان في أوساط العائلة والمجتمع الذي يقدّس هذه العائلة. فعلى الرغم من حال الفقر الذي كان يسود المجتمع آنذاك إلاّ أنّ الطفل لم يشعر بضغط الفقر وتربّى في عائلة أخرى موسرة.

ويقال إنّ «جزيرة الفردوس» في أيام طفولته كانت بحقّ جزيرة هادئة مطمئنة رغم أنّ العالم حولها كان يستعر بنيران الحرب ولهيب الكوارث والأهوال التي كانت تجتاح العالم آنذاك، فكانت بحقّ أشبه ما تكون بواحة خضراء ناعمة وسط رمال مستعرة ملتهبة في صحراء البرهوت أو بجزيرة دانية عليها ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً، وهي محاطة ببحار لجية تغشاها الأمواج والعواصف من

كل مكان. فكان يقظان يعيش في عالم آخر أشبه ما يكون بعالم النسيان لا يعرف شيئاً عن المصائب والأهوال التي كانت تدكّ العالم الذي حواليه وعن الحروب التي أهلكت الحرث والنسل واقتلعت الملوك عن عروشها وزلزلت الأرض تحت أقدام الجبابرة وأفنت المدن وأهلكت الملايين من أبناء البشر. كان يقظان بعيداً عن هذه التعاسات وكانت روحه تسرح في عوالم غريبة عن هذا العالم التعيس.

أمَّا الحالة الروحية التي عاشها في تلك الفترة فما أشبهها بحالة آدم وهو في الجنة يغرف من مائها ولبنها وعسلها ما يشاء ويأكل من فواكهها وثمارها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين. وكان يطير حيثما يشاء ويمتع عينه بالمناظر الجميلة وأذنه بموسيقى الملكوت وحواسه جميعاً بروائع خلق الله والنجوى مع الملائكة الكرام.

أيام الصبا

وعلى مشارف الصبا بدأ يحتك بعالم الكبار وتسربت أخبار الحروب وأهوالها إلى مسامعه وظهرت خدوش الألم على روحه الحساسة وأصابت الجراحات أحاسيسه المرهفة. ففي هذه الفترة ظهرت الخدوش على مرآة روحه الصافية فأصبح حساساً مرهف الحسّ عرضة للآلام وهدفاً سهلاً لسهام العوامل الخارجية.

وفي تلك الأيام كان يمتع عقله وفكره بروائع الكتب التي كانت موجودة في مكتبة والده حيث كان يغرف من أنهارها الزلال ويسبح في مياهها المنعشة ويسرح في عوالمها كالحيران في عالم جديد لم يألفه. وكان مفعماً بالتساؤل عن الوجود وأين هو ومن أين ولماذا جاء إلى هذا العالم وإلى أين يسير؟. وكان يتساءل مَن أنا ومَن هؤلاء الذين حواليَّ وما هذه الأرض الخضراء والبحار الزرقاء والسماوات العلا والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة والشمس البازغة والقمر المنير والمجرّة البيضاء التي تسمى بدرب التبانة؟. وكانت هذه المجرّة أكثر بياضاً في الليالي الظلماء فينبهر

من بياضها وروعتها وما أكثر ما كان يسأل وما أندر ما يتلقى الجواب على الرغم من لجوئه إلى قراءة الكتب.

وفي المدرسة خالط أصدقاء طبعوا على الكلام الهراء الذي تشتم منه رائحة الشهوات وما كانت له الخيرة من أمره فحرية انتخاب الأصدقاء في سن الصبا أمر يكاد أن يكون ضرباً من المحال. وأصبحوا يعيرونه على انزوائه وعدم استجابته لحديث الشهوات. فدخل عالماً من البرزخ: من جانب تجد الشهوة صدى في نفسه؟ ومن جانب آخر هناك قوى علوية فيه تصارع الشهوات. وأثر هذا الصراع على مرآة روجه الحساسة فأحسّ بالجحيم في حياته: من جانب كيف لا يساير أصدقاء السوء وهم المهيمنون على حياته؟ ومن جانب آخر كيف ينحدر من علوه ومن دار السلام الذي كان يعيش فيه؟ فعيروه على هذه الحالة السلبية بنظرهم فانساق رويداً رويداً إلى أحاديثهم وأنواع من المزاح الرخيص والتصرفات الشائنة، التي كانت تزيّن الجو العام ولكن لا تزيّنه كما لا تزين الحلية الملائكة ـ وهل يفهم هذا إلاً مَن عرف نفسه؟ ولكن التناقضات بين الباطن والظاهر تبرز على صورة القلق والتوترات وعدم الارتياح في السلوك الإنساني.

فترة النشاط الفكري

ولكن في طريقه قابل أيضاً أصدقاء يشاطرونه البحث العالي في الأفكار وكان يستريح إليهم نفسياً وتنشط روحه بشكل عجيب. وفي تلك الأيام خالط نخبة من المثقفين تجمعهم مائدة التلمذة على أحد العلماء المبرزين وانخرطوا في ناد له نشاطات ثقافية محضة. وبفضل هذه الاهتمامات الفكرية سهر الليالي مكبّاً على إبداعات إنشائية. فحينما يصفو الرَّوْح في الأسحار يخرج الفكر من أثمار يانعة قلّما يتسنى ذلك في أوقات أخرى. وتفاعلت أحاسيسه المرهفة مع الإبداعات الفكرية والأنوار الروحية الشفافة التي تشرق في ظلمات الأسحار وفي الليل إذا عسعس حيث تهجع المجالات المغناطيسية الشريرة ويصفو الجو للأرواح السامية اللطيفة.

وكانت عينه تنفتح صباحاً على البحر وانعكاس الخيوط الذهبية لشروق الشمس على صفحات مياهه الصافية، فتراه مستغرقاً متأملاً في ألوان الطبيعة الزاهية وفي جمال المنظر وروعته

التي تصاحب الشروق أو الغروب. فكأنَّما تقرأ الآيات والبيّنات من ألوان قوس قزح الباهرة على صفحات الكتاب في شفق الآفاق. وتتجلى في شفافية الروح الكلمات المقدسة ناطقة باسم الجلال وتنفتح أبصار القلوب لرؤية الوجه الكريم ويرتاح القلب الصافي لهذا الجمال المطلق ويسحر العقل وتنبهر الألباب من روعة المنظر وهيبته... فكأنَّما ضاع صاحبنا في عظمة الأشعة الذهبية والخطوط الأرجوانية المتموجة على صفحة البحر اللجي... وكأنَّما الروح تجليات قدسية من نظرة الحبيب وهمسة الجليل ونيران الوادي الأيمن من البقعة المباركة.

هبوط آدم

وترعرع الصبي وأصبح فتى بالغاً واشتدّت القوة الجنسية في نفسه ولولا ستر الله لأصبح من الهالكين، ولولا الحياء ومقاومة القوى العليا في روحه لانغمس في الشهوات وتردى في مهاوي الهلاك. ولكن الجنس وضع بصمته على حياته فأضحت الشهوات تستهويه وغدا يعيش مع الملذات الجنسية في خياله وتصوراته. فنمت فيه الآثام إذ أصبح منساقاً إلى سماع اللغو والغيبة وإلى الطمع وحب النفس والمال والنساء. وأضحى متاع الدنيا يطل عليه كما يطل الضباب على المنظر الجميل. وغدا يتباعد عن مثاليته ويهبط عن جنّة آدم وذلك بخداع المفسدين وإغواء الضالين الذين كانوا يصورون له الدنيا بأنَّها الجنة الموعودة والسعادة المنشودة وبأنَّها حلوة ناعمة ودار خالدة ظلالها دانية وثمارها يانعة تستسيغها الغرائز وتحليها الشهوات وترتع فيها خرفان الرغبات. فأكل التفاحة الممنوعة وطرد من الوادي الأيمن وتركه المخادعون والمفسدون وحيداً فريداً على الأرض الملعونة يجب عليه الكدح

لكسب العيش حتى يرضي رغباته الكثيرة ويرضي حوّاء التي بجانبه والأولاد الذين يتوالدون منها وهم يزيدونه كل يوم رغبات جديدة لا تنتهي وتوقعات من الحياة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب.

فثقلت المشاكل على كاهله الضعيف فلم يجد من يبثّ له شكواه من عذابه غير ملاكه الذي كان يرافقه ولعلَّه ملك من ملائكة السماء وكل إليه كي يكون صاحب سرّه وظهراً وسنداً وعماداً وعضداً يأتمنه على أسراره ويستمدّ منه العون ويخفف عنه عذاب الفراق والنوى في ديار غربته. ولم يكتف بالنجوى وكلام السرّ بل كتب له رسائل طويلة. ولم يجد من البشر من يشاطره سرّه ويخفف عن كاهله عذاب الفراق عن جنّات النعيم. فسطر كلاماً مدوّناً في يومياته يخاطب فيه ملاكه. ولكن لم يكن له بدّ من مصارعة العفاريت ومنازلة الشياطين ولم يكن يسانده غير نجواه المستمرة مع ملاكه. إلاَّ أنَّ إبليس اللعين له أيادي كثيرة تساعده وتيسر له وظائفه في التضليل وهم أصدقاء الأرض ورفاق الدنيا فهم معه في بيته وفي محل عمله وفي أكثر مرافق الحياة اليومية. فاحتوته الدنيا في عباءتها وأدخلته سجناً ضيقاً قلَّما يرى النور من الخارج. وأضحى شقاء الدنيا يخدش روحه شيئاً فشيئاً وحتى القليل من مسرّات الدنيا لم يتمكن من تلطيف الخدوش

والجروح. وغدت الأغلال والسلاسل تلتف عليه كما تلتف خيوط العنكبوت على الحشرة المسكينة والذنوب والآثام تكبل روحه وتحبس الطير التواق إلى الحرية في قفص ذهبي صغير.

نداء الوجود

وأحياناً كان يسمع من أعماقه همسات لطيفة تدعوه إلى الحرية وإلى الخروج من قفصه الذهبي ولكنه لا يعيرها أذناً صاغية وأحياناً يرى بصيصاً من النور ينفذ إليه من كوة القلعة ولكنه يدير ظهره ويعزف عن النظر إليه. ورويداً رويداً تحوّلت الهمسات إلى نداء وهاتف يدعوه إلى العروج إلى السماء والانقلاع عن الأرض كأنّه نداء الوجود يدعو ابنه الضالّ المسكين إلى الاتجاه إليه والتوجّه إلى معارجه وإلى الرجوع إلى أصله والتوبة والإنابة إلى خالقه وفاطره والاشتياق إلى أنواره والتوق إلى نجواه والعروج إلى سماواته والالتحاق بموكب النور والاتصال بمولاه. وشيئاً فشيئاً بدأ يقظان يزيح عن عينيه أغشية العمى ويستيقظ من سباته العميق ويستعيد وعي الأزلية والسرمدية ويتذكر الميثاق الذي أعطاه في عالم الذرة عندما سئل: «ألست بربكم» فأجاب: «بلى». وتذكر عبوديته لرب العالمين وتعجّب كيف انجرف وراء السراب وحيلة المضلين هارباً من جنّة النعيم إلى جهنم الأوهام التي تستعر بنار

الجهالة ومن ربّ شفيق رقيق إلى وسوسة الشيطان ومصائد إبليس.

فاعترته حالة غير مألوفة: يهرب من الناس ويتوارى عن الأنظار ويقضي ساعات طويلة في خلواته وصلواته يبكي بكاء الحزين ويئن أنين الكليم يذرف دموعاً على أيام جهالته وطيشه وغفلته وغروره وتكبّره وعجرفته لا يتنعم بالحياة الطبيعية ولا تبهجه عادات القوم وأغلال الرسوم والتقاليد ولا يهب مع الجماعة لإشعال نار شهواته. وكان يتكلم كلاماً غير مألوف لا يفهمه أصحاب الغفلة وكانوا يسخرون منه لأنَّهم كانوا يجهلون كلامه ويعتقد بعضهم أنَّه مسحور ويقولون: طرأت عليه أحوال عجيبة ونظراته زائغة وأقواله مبهمة ينزوي عن الناس ويحب الخلوات ويبقى صامتاً مفكراً لفترات طويلة لا يعير اهتماماً لما حوله كأنَّه في عالم بعيد.

ويعتقد البعض الآخر أنَّه قد مسه الجنون فهو يتكلَّم عن نداء يسمعه بل أحياناً عن مشاهد يراها مما لا يراها الآخرون ويتمتم بكلمات غامضة ويسهر الليالي في خلواته ويعزف عن ملذاتهم وشهواتهم وحتى عن الرغبات والمطامع التي هي حطب الدنيا ومصدر حركتها. ولطالما غذّى حياته البهيمية بحطب آماله اليابسة ولطالما تبع تمنياته الزائفة وعاش معهم في سجن الطبع وإسارته

يتحرّك فيه في حلقات مفرغة يكدح ويسعى كحمار الطاحون لا ينفذ من جلدة الطبع المخيف إلى عالم آخر متحرر من الجهل والظنون ومن رعاية وتربية الماضي الجهول ـ إلى عالم تشرق عليه الأنوار وتسود فيه المعرفة واليقين. ويتعجّب أصحاب الغفلة ويظنون أنَّه مريض أو مسحوز أو أنَّه قد خولط في عقله ـ كما يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة همام في نهج البلاغة: «ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض، ويقول: قد خولطوا، ولقد خالطهم أمر عظيم، لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون».

ويقال: إنَّه حاول مراراً الفرار من معبد الشيطان ـ حيث الشهوات والرغبات ـ ولكن القلعة السوداء تحرسها غلب الرجال بيدهم مقامع من حديد، فمنعه الحراس من الفرار. وفي الأيام التالية اجتمع حوله مدّعو النزاهة والاستقامة وحاولوا إبداء النصيحة له بترك الأوهام وبألاً يفسد على نفسه وعلى الآخرين راحة البال التي اعتادوها تحت خيمة الملذات والرغبات والشهوات.

الموجود الملكوتي

إلاّ أنَّ يقظان موجود ملكوتي إنهال عليه ركام الأتربة وغبار الفحم الأسود وهو في طريقه إلى الأرض الملعونة أثناء هبوطه من العوالم العلوية. فهذا الركام الأسود من القمامة والأوساخ في داخله درّة هي أكثر شفافية وأرقّ من جاذبية المغناطيس وألطف وأحنى من رحم الأم، تحمل في ثناياها روح المعرفة والعرفان حيّة نابضة وبيضاء ناصعة، فمتى تزال الأتربة ويغسل الغبار الأسود من فوق هذه الدرّة البيضاء؟

فهو لا يقتنع بكلام أهل الدنيا ومنهم من يتظاهرون بالدين وازدانوا بثياب الصلاح والسداد ولكن ديدنهم حبّ المال والنساء والشهوات. وحتى العوالم العلوية التي تكلَّم عنها الأنبياء والأولياء قد تصلبت في أيديهم وأضحت حديثاً عن النساء والشهوات والخمر والمسكرات، وتبلورت حديثاً دنيوياً لا تشتم منه رائحة التوحيد والتجريد والملأ الأعلى والموجودات الملكوتية. فقد غطت المادة أذهانهم فهل إلى النورانيات والروحانيات من سبيل؟

فهل تنهار القصور الرملية من فوق الأذهان وتبدأ الصلاة بحضور القلب ويطلع على الخلود والملأ الأعلى من نافذة القلب؟ فمتى يخشع القلب ويبدأ الجمع في نورانيته، ومتى يتبدد الظلام وتشرق الأنوار، ومتى يهدأ لغو اللسان ويستقر القلب وتشرق الأنوار في الجنان وتسكن الأصوات ويضمحل الهرج والمرج من القلب الذي هو منزل القدسيات وتنزل السكينة على روحه الحساسة المعذبة التواقة إلى ربها؟ ـ «ربّ زهدني في الدنيا وأودع الحكمة في قلبي وأنطق بها لساني وبصرني عيوب الدنيا، داءها ودواءها وأخرجني سالماً من هذه الدنيا إلى دار السلام» ـ هذه الكلمات المستقاة من حديث الرسول الأعظم ﷺ كان يقظان يرددها في قلبه.

نجم الشعرى أو المرشد

ويهتدي يقظان بنجم الشعرى في الليلة الظلماء ويتيقن أنَّه لا يمكن الوصول إلى دار السكينة والسلام من دون المعرفة. فيسلك سبيل العرفان ويبدأ بإسقاط أردية الموت عن روحه كما تسقط الشجرة أوراقها في الخريف، وينفض غبار الظلم عن كل جوارحه، جارحة جارحة، ويكشف حجب الظلمات عن ذهنياته وأفكاره، ويبحث عن جذور الذنوب والمعاصي في أعماق أعماقه، ويصارع الشياطين في ظلمات نفسه، ويبدأ بمعرفة نفسه ودقائقها وحيلها ومصائدها ومكرها وخداعها حتى لا يلوم غير نفسه عدالة وإنصافاً وحتى يجد بأُمّ عينه كيف تلعب الفئران والجرذان في ظلمات نفسه.

وكيف يتأتى ذلك من دون التعرّض لدروس المعرفة والحكمة والإصغاء إلى النغمات اللطيفة من عالم العلويات، ومن دون التسليم للتعليمات السماوية وتطبيقها في نفسه درساً درساً. إلاَّ أنَّها أصعب لون من ألوان التلمذة لا يحفظ فيها التلميذ دروسه

ويحشي ذهنه، بل يطبقها في نفسه ويسقط كل الإضافات على فطرته العلوية وذلك بتصفية ذهنياته من كل ما اكتسبه خلال عمره من محيطه وبيئته من علم ناقص ربما كان ضرباً من ضروب الجهل المركّب. وطبعاً تسهل صعوبات هذه التلمذة عندما تكون باحثاً عن ضالتك. . . وهل تصل إلى السعادة إلاً عندما تجد ضالتك وهل ضالة المؤمن غير الحكمة.

وأحكم شيء يربطك بالعالم السفلي هو التعلقات القلبية بمتاع الدنيا. وبالمعرفة يتيقن الإنسان بأنَّ المتاع لا يستحق كل هذه التعلقات القلبية وكل هذه الرغبات والشهوات والغرائز. فما أحسن أن ينقلع الإنسان عن المتاع وأن يوجّه كل قواه القلبية والغريزية لإنقاذ الدرّة البيضاء من هيمنة القمامة والأوساخ التي تراكمت عليها. ورب قائل يقول: سأضحي فقيراً ومحتاجاً إن أنا تركت تعلقاتي بمتاع الدنيا وهل الحاجة والفقر هي رسالة العرفان؟ الجواب هو طبعاً «كلا» فالزهد الذي يوصي به هو «أن لا تأسى على ما فاتك وأن لا تفرح بما أتاك» وهو السموّ والتحرر عن تعلقاتك القلبية بما فاتك أو أتاك من المتاع الدنيوي. فالعرفان لا يلغي قوة العقل المادي أو عقل المعاش فما أكثر الغنى والثروة بين العرفاء، فغنى النبي سليمان عليه السلام ليس بسبب علاقته بالمال، وفقر النبي عيسى عليه السلام ليس بسبب قصر عقله المادي. فكلاهما

عارف زاهد في متاع الدنيا لسموهما وتحررهما من العالم السفلي وحبّ المال والجاه والدولة الأرضية: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)﴾ (سورة القصص الآية ٨٣).

الصبر مفتاح الفرج

لقد اهتدى يقظان إلى النور في آخر النفق. ولم يحصل ما حصل له اعتباطاً وإنَّما لذلك قصة... فلقد برزت في حياته مشاكل حادة، فكأنَّما أنزل الله عليه امتحاناً حاسماً كي يثبت من أي معدن هو: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (سورة الملك الآية ٢) فآثر الصبر على الانتقام ممَّن سببت له كل هذه المشاكل. فاستعان بالصبر والصلاة يحذو حذو الآية الكريمة: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾ (سورة البقرة الآية ٤٥). ولم يضيع وقته وانتهز كل فرصة سانحة للاستغراق في الصلاة وفي النجوى إلى خالقه يشكو له حزنه وبثّه ويستعطف رحمته ويستنزل الصبر والسلوان.

وكانت تلك فترة جدّ عصبية في حياته لا تحتملها الجبال لولا الصبر الذي نزل على وجوده سكينة ورحمة. فكان يلتجىء إلى خالقه معتصماً به متشبثاً بحجزته يردد الآية الكريمة في نجواه إلى ربه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ (سورة الفاتحة الآية ٥).

وكانت هذه الكلمة المقدسة ورداً على لسانه ليس في الصلاة فقط بل ملأ يومه وليله ما أمكن إلى ذلك سبيلا. فاستلهم المعاني العميقة من هذه الآية الكريمة... فانصبت كل وجهته الفكرية والعاطفية والعشقية بل كل وجوده وخلاياه إلى الله لا يرى غيره ولا يرجو سواه... بل أصبح ورده ورداً واحداً ونهره نهراً عظيماً متدفقاً تجاه المولى لا يلوي طريقه ولا يلتفت إلى أحد غيره. وإذا اكتشف في نفسه ميلاً لغيره استقام بمعونة الورد المقدس حتى يتحقق له مضمون الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (سورة فصلت الآية ٣٠).

كانت الضغوط العائلية عليه كبيرة، وكان قد وصل إلى النقطة الحرجة من حياته ـ نقطة الاضطرار الكامل ـ وكانت القرارات المهمة في حياته في مراحل تكوينها تنسج خيوطها الأخيرة. ولندع يقظان يسرد قصته:

لم أكن أعلم ماذا أفعل في قبال هذه الجبال من الضغوط والمشاكل والظلم والجفاء والسبّ والإهانات، هل أهرب من البيت ـ وكيف يكون ذلك ممكناً ولدي أولاد صغار ـ أَم هل أصمد صمود الأبطال وأنتخب طريق الصبر. ثم إنني إذا انتخبت هذا الطريق الصعب فمن أين لي القوة لذلك؟

وأخيراً عقلت لساني عن الكلام واخترت السكوت الكامل في مقابل العناد والنشوز والسب واللعنات، واستغرقت في الصلاة وأقمتها بحضور القلب. وفي حالة البؤس والمسكنة والذلّ والاضطرار التام كنت أطلب من الله أن يكرمني بتحمل المصاعب ويهب لي فضيلة الصبر. وكنت أردد كلام الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٥٠) ومن أين لي الصبر إلاَّ من عنده... وهو القائل: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ (سورة البقرة الآية ٤٥).

ذكر الله والإخلاص

فالإنسان موجود نسّاء متعثر لا يقيم أمته وأوده إلاّ ذكر الله وورده: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴿٥٥﴾﴾ (سورة الذاريات الآية ٥٥). وإذا اكتشف في نفسه إرادة العلو في الأرض وحبّ المال والجاه والنساء وغيرها عرف حيلة الشيطان وذكاءه في جريانه في الإنسان مجرى الدم، فيخاطبه: «إليك عني لا رغبة لي فيك فعمرك قصير وأجلك خطير». ويتذكر الآية الكريمة: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴿٨٣﴾﴾ (سورة القصص الآية ٨٣)... ويتذكر غربته عن الدنيا وانتماءه إلى الآخرة.

وتلك هي عبادة الله والعمل بوظيفة العبد الصالح والتطوق بطوق نير عبوديته. وهل العبودية إلاّ عشق الربوبية وتبعية المولى والاستكانة إلى حبّه ومرضاته؟ فإن لم يرض بعبودية الله كان كالعصافير المغردة لا ترضى بزقزقتها والماء العذب لا يرضى بعذوبته والأشجار الباسقة لا ترضى بألوانها الخلاّبة والمطر الزلال لا يرضى بالهطول إلى الأرض... فكان كمن يعيش في

الانفصامية المريضة، هو في واد وواقعيته في واد آخر، ينفصل عن أصالة وجوده، ولا يبقى منه إلاً الموجود المتمرّد والمهرج المقلد يتمرّد على قوانين الطبيعة ونواميس الوجود ويقلد غيره ويعيش حياة التكلّف والتهريج. وهل عبادة الله إلاً القبول بعبوديته والاستسلام إلى معانيها العظيمة والالتزام بوظائفها النبيلة؟ فانظر إن كنت تستعمل عبادة الله لنيل المال أو الجاه أو امرأة تنكحها فأنت في الحقيقة تعبد المال والجاه والملذات الدنيوية. فأخلص نفسك لله وحده وطهّر النيات وأهدف إلى الله وابتغ إليه الوسيلة في مصاحبة الأنبياء والأئمة والأولياء والصالحين وفي اكتساب تعاليمهم وشفاعتهم للوصول إلى الله العلي العظيم.

وكان يردد هذا الدعاء «ربّ أدخلني في كلّ خير أدخلت فيه محمداً وآل محمّد وأخرجني من كل سوء أخرجت منه محمّداً وآل محمّد» وكان ذلك ورده الذي يردده في صلواته في تلك الفترة العصيبة من حياته. وبقوة الأوراد تعود أن يطلب المعونة من الله وحده وأن لا يستعين بغيره. فوجد أن الاستعانة بالله والاستغناء عن غيره فتحت عليه بركات من السماء والأرض لم يكن يتوقعها. وعلم أنَّ المعونة والبركة من الله وحده وأن المخلوقين فاقدون لذلك وفاقد الشيء لا يعطيه. واستغرب من الحقائق العجيبة التي اكتشفها، فالدنيا تُقبل عليك إن أنت أدبرت عنها وتُدبر عنك إن

أنت أقبلت عليها، وأنَّ الصبر مفتاح الفرج والحكمة ضالة المؤمن.

وأخيراً آتت الصلاة والدعاء والمناجاة ثمارها... ونزلت السكينة على قلبه وبرزت جزيرة الهدوء والسعادة في وسط الأمواج العاتية والعواصف المدمرة. ورأى بأُم عينيه كيف أنَّ الصبر يفتح أبواب الفرج.

نبي
في جزيرة الفردوس

ونزل الفرج من السماء حيث فتحت أبوابها وينابيع بركاتها على العبد الصابر، وأودع الله حبّه في قلوب الصالحين من عباده، فتعرف عليهم كما يتعرف الرجل إلى ضالته التي كان يبحث عنها دهر الدهور.

وها هو يقظان يقصّ قصته:

كنت قد عينت أخيراً رئيساً لإحدى الدوائر وكان من حسن حظي أنَّ مساعدي وسكرتيرتي كانا من الصالحين. وكانا يستأذنانني ظهر كل خميس لحضور مجلس الشيخ المقدس. وكنت أسمع منهما بين الحين والآخر أشياء عجيبة وعظيمة عن الشيخ.

ومن عجيب الصدف أنني كنت التقيت في ذلك الوقت بصديق قديم من أيام الصبا، وبدأنا نناقش معاً المسائل العلمية

والأدبية والثقافية. . . مما ذكرني بأيام الصبا وأيام النشاط الفكري حينما كنّا نحلّق في السماء في كتابة مواضيع عالية من الثقافة وفي المناقشات العلمية التي كانت تجري بين مجموعتنا في نادينا.

وفي ذلك الجو من ذكريات التحليق في الأعالي. . . وفي يوم من الأيام بعد ساعات العمل كنت جالساً مع مساعدي في الشركة أشرح له اللذات في عالم الكتب وفي المستويات الفكرية العالية، وكم يحسّ الإنسان باللذة والسعادة حينما يناقش البحوث الفكرية والعلمية ويكتبها وكم هو رائع أن ينفذ الإنسان في عوالم المجردات وما وراء الطبيعة.

فقال مساعدي لدينا شيخ مقدس عالم وعارف ومتبحر في كل العلوم، حتى أنَّ مجمع البحوث العلمية في واشنطن ـ عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية ـ والتي تضم أكبر علماء الدنيا قد انتهوا إلى مجهولات علمية لم يجد العلم لها حلاً رغم كل النتائج التي تمخضت عنها البحوث والتحقيقات العلمية في العالم. وأنَّ هؤلاء العلماء الأفذاذ قد بوّبوا هذه المجهولات العلمية في ستة عشر باباً وأرسلوها إلى الشيخ يطلبون منه الحلول.

والغريب في الأمر أنَّ الشيخ وجد الحلول وأرسلها إليهم، ثم إنَّ هذه الحلول قد جمعت بعدئذٍ في كتاب. فطلبت من مساعدي بأن يأتيني بالكتاب، فجاء به وقرأت الكتاب.

لقد كنت أعلم مدى عجز العلم في اكتشاف الحقائق، وأعلم بأنَّ حجم المجهولات أكبر من المحيطات. ولكني لم أكن أتصور وجود علامة من نوع البشر مطلعاً مطلاً على محيطات المجهولات. لم أكن أتصور أن ضالتي في كنانتي:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

وما أشبه البشر بالجمال في الصحراء يقتلها الظمأ والماء منها كقاب قوسين أو أدنى. وعلمت أنني والبشرية جمعاء قد سلكنا طريق الخطأ وانحرفنا عن الطريق الصحيح. لقد كانت عندي تصورات بعيدة وعاتمة عن الأنبياء، ولم أكن أتخيل أنَّ باستطاعتي الوصول إلى عوالمهم، عوالم الفلاح والسعادة والصدق والروعة والمجد والحق.

النبيذ الرباني

واستمر يقظان في قصته:

لقد فهمت جيداً ما قاله الشيخ . . . وأمسى نجم المعرفة يتلألأ في عيني من بعيد. لقد كان موضوع العقدة الحياتية في القلب والخازنات المغناطيسية في البدن جد شيق، وكانت قراءة هذا الكتاب من أحداث العمر التي لا تنسى. فطلبت من مساعدي أن يخبرني متى تكون هناك جلسة حتى أحضرها. . . وفي غضون أيام علمت أين تكون الجلسة ومتى. وبدأت أحضر جلسات الدكتور. . . ومنذ البداية أحسست بأنَّ طريق فلاحي قاب قوسين أو أدنى. وفي غضون شهر من حضوري المستمر في الجلسات اتضحت لي الصورة أكثر فأكثر، وانتبهت شيئاً فشيئاً إلى وجوب تغيير جذري في أساليب حياتي، وأن أخلع عني تعلقاتي الدنيوية، وأتخلى عن الخصال المذمومة، وأن أبدأ الطريق الصعب في جهاد النفس.

وبعد شهر كانت قد تبلورت عندي النية الصادقة لاتخاذ القرارات الصعبة بالنسبة للتغييرات الجذرية في حياتي. وذهبت في

إجازة لمدة شهر وكانت فترة تأمل لا بدّ منها، وبعد رجوعي حضرت جلسات الدكتور مرة أخرى. وبعد شهر تبلورت التحولات الباطنية، وبدأت حياة جديدة كأنني قد ولدت مرة أخرى. وشعرت كأنني قد تعرضت لقطرات الماء من معين الحياة الخالدة يرشونها علي رشا، وللملذات الفردوسية تدغدغ وجودي... وكأنّهم يجربون عليّ ثمار الجنة. وعند ذلك تلقيت من الدكتور تعليمات التركيز على العقدة النورانية والحفرة الشمسية في القلب، وبدأت أمارسها وأقضي الساعات الطوال في هذه الممارسات الشيقة... وكنت أشعر بقوى عجيبة تنزل على روحي كأنّها تغسلها من الدرن وتهيؤها لملاقاة الشيخ. وأذكر كيف كنت أرى النور حول النقطة التي أرسمها على الحائط بعد فترة من التركيز، بل كنت أرى عموداً من النور يربط عيني بالنقطة. وما أشبه ذلك بنور الشمس حينما يركز على الورقة فيحدث التهابها ثقباً في الورقة. وما أشبه القوة التي تشعرها بعد التركيز على العقدة النورانية والحفرة الشمسية في القلب بالتهاب الورقة من قوة نور الشمس.

ولا أنسى الليلة التي قابلت فيها الشيخ المقدس، فلقد سمعت منه كلاماً كأنّها قطع الجبال تسقط على صدري. وحين رجعت إلى منزلي أخبرت ابني بأنّي قد سمعت الليلة كلام الأنبياء وقد ضغط على صدري كأنّها وقعة الجبال.

ومنذ تلك الليلة بدأت أكتب رسائلي إلى الشيخ لأنَّه لم يكن بإمكاني بيان مكنونات نفسي إليه في حضرته لأنَّ أرجلي كانت تخونني عن الحركة ولساني عن الكلام في حضوره. وفي رسائلي كنت أطلب منه أن يقبلني للتلمذة لديه، وكنت أبوح له بالانقلابات الجذرية الباطنية التي كنت أتعرض لها في تلك الفترة. وما أشبه هذه الملاقاة بما ذكره الله تعالى في قصة موسى والخضر عليهما السلام: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ (سورة الكهف الآية ٦٥).

وهكذا كان نائماً فاستيقظ فصار يقظاناً... وهكذا كان ينتمي إلى الفاني فصار ينتمي إلى الحي. ويسأل الولي من هذا المختفي في ذلك الركن وماذا يريد؟ فيقال له: إنَّه يقظان جاء إلى محضركم للاستفاضة من النبيذ الرباني... قال: أهلاً بالوارد الجديد... اشملوه بالحفاوة البالغة فإنَّه ضيف الرحمن وما علينا إلاَّ خدمته... قالوا سمعاً وطاعة... وقام الولدان يخدمونه أحسن خدمة. وأمر الولي له بأحسن النبيذ ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (سورة الإنسان الآية ٢١) فقام يستشف الشراب الإلهي ويسمع غناء الملائكة يملأ الفضاء، وقام من مقامه يترنح تارة ويسقط أخرى وهو يقول: «لا إله إلاَّ الله، لا إله إلاَّ الله، لا إله إلاَّ الله».

فتوحات العارفين[1]

ولسان حال يقظان يقول:

إنني الهائم في كل مكان

في الفلا ظامىء على مرّ الزمان

إنني المقتول من جذوة العشق

وأنا المجنون من جذبة شوق

بعد جري وعناء في المطاف

لذت في المسجد ضيفا

عندما شاهدت طيفا

قادني للطهر حدسي

سرت في خلوة قدس

ملء الكون سناه

---

(١) هذه الأبيات مستوحاة من الشاعر الرباني هاتف الأصفهاني، وأيضاً أشكر الشاعر المعروف محمد رضا المسقطي على إسهامه النبيل في هذه الأشعار.

إنَّه نور الرسول المصطفى
نوره زاد على النيران في وادي طوى
كان موسى للصلاة قائماً

وهناك الشيخ للنيران يوقد
والمريدون لديه
يتهادون إليه
في سلام وحنان
بين أزهار الجنان
يضربون الدف والعود المثير
بالأكف والبنان
ويغنون بشوق العاشقين
مثل أحلى العازفين
والشفاه واللسان
تنشد أحلى البيان

وهنالك تسقي الغانيات
خمرها في رشفات
والدجى أشرق بالشمع المنار
بينها النقل مع الورد نثار

والشعور مرسلات
لخصور الراقصات
ويطوف الولدان مع حور الجنان
في رياض الخالدين
في اشتياق الوالهين
بحضور العارفين

ذلك الشيخ الرزين
صوته مثل الرنين
وكلام من عسل
إنها الحكمة من عرش الإله
إنَّها الدرة من طهر الشفاه
إنَّها تهدي إلى علم اليقين
إنَّها الينبوع والماء المعين

وأنا الخجلان من ضعف اليقين
بين كل المؤمنين
أخفي وجهي في الظلام
خشية من أن ألام
عندما ألقى الملاك

وإذا الشيخ الوقور
قال: اسقوه الطهور
ملء كاسات الخمور
إنّه الواله من عشق الإله
فسقيت في حنان ودلال
من مليكات الجمال

مال رأسي وترنح
في الهوى الصادق أمرح
سكرتي ليست تفيق
السكر قد أودى بعقلي
صعقاً أسقط أرضا
هي من وادي طوى
أشتكي حرّ الجوى

وإذا الكفر إلى الإيمان مال
وإذا الإيمان في كأس الغرام
لا يميز الكأس عن ماء زلال
احترق الكل بجرعة
هي من أطهر خمرة

سكبت من خير جرة

إنَّه أمر الولي

إنَّها خير مدامة

ليتها دامت إلى يوم القيامة

فسمعت من ضميري هاتفاً

وكنفخ الصور دوى جارفاً

صوته كالرعد دمدم

هو من جوف الشرايين تكلم

ومن اللحم ومن عظم ودم

وإذا كل وجودي لهذا الصوت يردد

وإذا مخي وقلبي وعروقي تتوحد

إنَّه الواحد في هذا الوجود

ليس غير الله فيه من شريك

سبحوه إنَّه الله الأحد

وحده لا إله إلاَّ هو

وحده لا شريك له

فصار هاتف ذاك الصوت يعزف لي

لحـــن الخـــلـــود تهـــاليلا تهـــاليلا

فصرت أعشق ذاك الصوت في وله
أقدم الروح والريحان إكليلا
وإن تكلم عصفور السماء عشا
أصغي وأسهر تعظيماً وتجليلا
وإن تغنى قبيل الفجر ذاب له
قلبي ولاء للحبيب جميلا
وإن توقف ذاك العندليب عن
الغناء تغاريدا وتسبيحاً وتهليلا
ينوح قلبي على بعد النوى جزعا
ويشتهي نغمة الأحباب ترتيلا
وليت الذي بيني وبينك عامر
زمر الملائك ميكالا وجبريلا
وبيني وبين سواك بعد مشارق
فأكون قربك عابداً وخليلا
يا صاح دع غير الجليل لخلة
فأنب إليه بكرة وأصيلا
هو واحد وسواه موج عابر
وإليه فليتبتلوا تبتيلا

أحد وليس على البسيطة غيره
وحده لا إله إلاّ هو

التعليمات السماوية

وتكلم المعلم والمريدون حوله خاشعون خاضعون يصغون إليه في أدب واحترام:

- لا يدخل مدينة الحكمة إلاَّ من تواضع للحكمة.
- ضع قدمك على رأسك حتى تستحق الدخول إلى عتبات الأولياء.
- تأدب على مآدب العرفاء حتى تستفيض من طعام السماء.
- القلب نافذتك على الملأ الأعلى.
- لا يرقى إلى الملأ الأعلى إلاَّ الخاشعون.
- لم يطرد إبليس من رحمة الله إلاَّ بسبب الكبر.
- أبحث عن جذور الكبر في أعماق نفسك... لا تغفل عنها طرفة عين حتى تمسحها يد الرحمة عن الوجود.
- في المدارس والجامعات تضيف إلى نفسك معلومات... أمَّا

في مكتب الفقر والعرفان فأسقط عن نفسك كل ما اكتسبته من معلومات وكل ما كسبته من إضافات. . . حتى تسقط الإضافات عن فطرتك وتمسح الرين عن قلبك. . . وترجع عرياناً بريئاً كما ولدتك أمك.

- في العرفان تعلم الفناء في المعلوم حتى يكون العالم والعلم والمعلوم شيئاً واحداً.
- أما تريد أن تتعلَّم علم المحو؟
- أفضل العلم هو أن تعرف نفسك. . . فمن عرف نفسه فقد عرف ربّه.
- أفضل العلم هو ما ينفعك في إصلاح نفسك.
- نفسك هو الحجاب الأكبر.
- بذكر «لا إله إلاّ الله» إنَّما تهدم الأوثان في نفسك. . . فإن كانت وجهتك المال والجاه والجنس فهي آلهتك وأوثانك. . . وإن كانت نفسك هي الأهم في الوجود فهي الحجاب الأكبر والوثن الأعظم. فاهدم الأوثان بذكر «لا إله إلاّ الله» وأقم مملكة الله في جميع وجودك.

الكلمات المقدسة

ثم استشهد بالقرآن الكريم وكلمات الأنبياء والأئمة عليهم السلام:

- من تواضع رفعه الله ومن تكبّر وضعه الله.

(نبينا محمّد صلى الله عليه وآله)

- لا يدخل ملكوت الله مَن لم يولد مرتين.

(النبي عيسى عليه السلام)

- لا يرى وجه الله إلاّ المتواضعون.

(النبي عيسى عليه السلام)

- من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

(نبينا محمد صلى الله عليه وآله)

- أفضل الذكر كلمة «لا إله إلاّ الله».

(نبينا محمّد صلى الله عليه وآله)

- لكلّ شيء مفتاح ومفتاح السموات قول «لا إله إلاّ الله».

(نبينا محمّد صلى الله عليه وآله)

- الفقر فخري.

(نبينا محمّد ﷺ)

- يا رب اشهد إنني مسكين وأحبّ المساكين.

(النبي سليمان عليه السلام)

- لكل امرىء ما نوى. . . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله. . . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

(نبينا محمّد ﷺ)

- من عرف نفسه فقد عرف ربّه.

(نبينا محمّد ﷺ)

- العبودية جوهرة كنهها الربوبية.

(الإمام علي عليه السلام)

- وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤوا إلى غيرك.

(الإمام الحسين عليه السلام)

- رأيته فعرفته فعبدته.

(الإمام علي عليه السلام)

- أول الدين معرفته.

(الإمام علي عليه السلام)

- متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك.

(الإمام الحسين عليه السلام)

- عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً.

(الإمام الحسين عليه السلام)

- إلهي حققني بحقائق أهل القرب واسلك بي مسلك أهل الجذب.

(الإمام الحسين عليه السلام)

- ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾.

(سورة ق الآية ٢٢)

- ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(سورة الزمر الآية ٩)

- من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.

(نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله)

الزهد

ويسأل محاسب: لقد سرق من بيتي مفروشات ثمينة ولكنني لم أحزن عليها وبعد سنة قبض على السارق وأعادت الشرطة المفروشات إلى بيتي ولكنني لم أفرح بذلك... فما تفسير ذلك؟

- لأنّك من أهل السماء ولا تنتمي إلى الأرض.

- أو ما سمعت قول الله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (سورة الحديد الآية ٢٣) وهذا هو مقام الزهد.

- أو ما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (سورة القصص الآية ٦٠).

- فالتمس ما عند الله فهو خير وأبقى.

- وما يجدي حزن المرء على ما فاته غير الإضرار بصحته والتسليم للقلق ومختلف الأمراض النفسية والعصبية.

- وما يجدي فرح المرء بالمتاع الفاني... فسوف يلحقه لا

محالة التحسر على ضياعه. فلقد قال الإمام علي عليه السلام: «ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى» أو قول أبي العلاء المعرّي:

غـيـر مـجـد فـي مـلـتـي واعـتـقـادي
نـــوح بـــاك ولا تـــرنـــم شـــادي

الحقيقة العظمى

ويسأل عالم الحياة: أيها الأستاذ ما هي الحقيقة العظمى؟

- الحقيقة العظمى هي الربوبية وهي أقرب إليك من حبل الوريد. والذي نفسي بيده إنَّ التي تحجب عنك الحقيقة هي إمبراطورية النفس التي بنيتها في وجودك وجعلت نفسك محور العالم وأهم شيء في الوجود. ومحورية الذات هذه هي الجحيم التي تفصلك عن النعيم وعن النور وعن ربّ العالمين.
- انغماسك في الأغيار لا يزيدك إلاّ بعداً عن الحقيقة.
- فالتمس النور في وجودك وذلك بهدم إمبراطورية النفس وهيمنتها.
- أخرج من سجن النفس إلى أنوار الحقيقة المطلقة.
- أخرج من جلدة الطبع إلى الحرية المطلقة.
- أخرج من ظلمات الجهل إلى أنوار العلم الأزلي السرمدي.

- أخرج من قفص الدنيا إلى فضاء سعة الرحمة الإلهية.

- لا تلتمس الحقيقة في الأغيار فهي أقرب ما تكون إليك... فاعرف نفسك واكتشف عوالمها واهدم هيمنتها... وتعرض لنفحات القدس الإلهية وتعليمات الولي حتى تدخل الأنوار والملائكة إلى نفسك وتخرج منها الظلمات وعقارب الجهل المخيفة.

- وجه الله في انتظارك وحين تلقى الله تعرف الحقيقة المطلقة وتصل إلى الربوبية.

- لا يمكن أن تطلب شيئاً في ذاتك ثم لا تكون لذلك الشيء مصداقية في الوجود.

- التمس نبي زمانك حتى يحول البذر الذي أنت الآن إلى المصداقية العظمى وهي الربوبية.

- أنظر إلى بذر البرتقال، أتراه يشبه البرتقال؟ ولكن في هذا البذر تكمن مقومات البرتقال من شكله الجميل إلى لونه وطعمه وعناصره المقوية بل إلى بذور أخرى لولادات جديدة.

- وانظر إلى بذرك... فإذا تواجد ذلك البستاني الذي يعرف في أي طين يضع هذا البذر ويرعاه بمقادير معينة من الماء

والشمس والأسمدة. . . فهنالك تتحقق المعجزات.

- أو ما سمعت قول الإمام علي عليه السلام:

دواؤك فـــيـــك ومـــا تـــبـــصـــر
وداؤك مـــنـــك ومـــا تـــشـــعـــر
أتـــحـــســـب أنَّـــك جـــرم صـــغـــيـــر
وفـــيـــك انـــطـــوى الـــعـــالم الأكـــبـــر
وأنـــت الـــكـــتـــاب الـــمـــبـــيـــن الـــذي
بـــأحـــرفـــه يـــظـــهـــر المضـــمـــر

- الجرم الصغير هو هذا البذر الصغير الذي لا يكاد يرى ولا يشبه العالم الأكبر الذي انطوى فيك. . . فانظر أي بستاني ماهر سوف يرعاه حتى يبرز العالم الأكبر الذي انطوى في هذا البذر الصغير. . . وحتى يفتح الكتاب المبين وتظهر المكنونات المقدسة.

التمس نبي زمانك

وسأل مهندس إلكتروني: أيها المعلم كان الأقدمون محظوظين إذ عاشوا في زمان أنبياء وأئمة واستناروا بنورهم واستفاضوا بفيضهم الرباني. . . ويا ليتنا كنّا معهم فنفوز والله فوزاً عظيماً.

- وجود نبي أو إمام كان بحق الامتحان الأكبر لأهل زمانهم. . . فهم بلغوا وكدحوا في الله وجاهدوا جهاداً عظيماً. ولكن القلائل هم الذين اتبعوا سبيلهم واستناروا بنورهم واستفاضوا بفيضهم الرباني. . . فطوبى لهم وحسن مآب. أمّا الأكثرية فمشغولون بدنياهم عازفون عن التعليمات الإلهية وزاهدون في الفيض الربّاني أو متكبرون جبّارون جاهلون. . . آذوا الرسل والأئمة وقتلوهم وطاردوهم تحت كل حجر ومدر، حتى قال نبيّنا محمّد ﷺ: «ما أُوذي نبي قطّ بمثل ما أُوذيت». وحتى أن ملكة واحدة في بني إسرائيل قتلت عشرة آلاف نبي وكانت تريد قتل إلياس عليه السلام فنجّاه الله منها.

- أيها السائل أما قرأت قول الله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (سورة يس الآية ٣٠).

- أيها السائل أما قرأت قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ (سورة يوسف الآية ١١٠).

- أيها السائل أما قرأت الآيات الكثيرة في القرآن المجيد: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية ١١٠) ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ (سورة سبأ الآية ١٣) ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ (سورة الواقعة الآيتان ١٣ ـ ١٤) ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (سورة الواقعة الآيتان ٣٩ ـ ٤٠) ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ (سورة الزخرف الآية ٧٨) ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (سورة المائدة الآية ١٠٣) ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ (سورة التوبة الآية ٨) ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾ (سورة يس الآية ٧).

- إنَّ قوانين الله ثابتة في كل زمان ومكان من الأرض وأنَّ فيض الله دائم لا ينقطع، وإنَّ الأسماء هي التي تغيرت ولكن المضامين ثابتة لا تزول ولا تتغير، وإنَّ الطالبين للحق قليلون وأكثرهم للحق كارهون.

- أيها السائل أو ما سمعت نبينا محمّداً ﷺ يقول: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» فالتمس نبي زمانك حتى يرعى البذر

كما أسلفت ويخرج الدرة البيضاء من الإضافات ومن تلال الرمل وكمامات الأوساخ.

- تأكّد أيها السائل أنَّ حظوظك لا تقل عن حظوظ السالفين. . . ففيض الله جار في الوجود لا ينقص ولا ينفد، ولكن الطالب قليل، والإنسان كجهاز الراديو، إن لم يكن به عطل أو خلل، ففي استطاعته أن يتلقى الأمواج المنتشرة في الوجود. . . ولكن الإنسان مهتم بإصلاح الآخرين بدل أن يهتم بإصلاح نفسه، ففي عقيدته أنَّه لا عيب فيه وأنَّ العيوب كلها في غيره، وأنَّه لا يحتاج إلى معلم لأنَّه يعلم كل شيء، وأنَّه المؤهل لأن يكون معلماً لغيره.

- أمواج الفيوضات الربانية منتشرة في الوجود تعشق الأرواح الملكوتية الشفافة والقلوب السليمة المؤهلة لتلقي هذه الأمواج، وتملأ بركاتها المتواضعين الخاشعين الخاضعين كما يملأ مطر السماء المنخفضات من الأرض.

- أصلحوا العطل والخلل في جهازكم الحساس الذي يفوق الراديو والرادار والتلفزيون حساسية في تلقي الأمواج.

- تواضعوا لكبرياء الوجود حتى يملأ فيضها وبركاتها أوعيتكم، وتستفيضوا من العلم اللدني والحكمة الربانية والدولة الخالدة.

- قلوبكم هي نوافذكم على الملأ الأعلى. . . والعقدة النورانية في القلب هي أقوى خازن مغناطيسي في جسمك إضافة إلى خازنات أخرى في البدن.

- ركّز على العقدة النورانية في القلب ولا تفتأ تفعل ذلك حتى تفتح عليك أبواب السماء وينكشف الشهود ويرى القلب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ (سورة النجم الآية ١١).

القلب نافذتك على الملأ الأعلى

وسأل طبيب: أيها الأستاذ المخ هو مكان العقل والتفكير والمنطق فما بال القلب؟

- إذا نظرت إلى المخ وإلى الجوارح الأخرى التي لها وظائف معينة في وجود البشر لرأيت أنَّ كلّها تتلقّى الدم من القلب أي أنَّها تتكل على القلب لتأمين غذائها حتى تتمكن من تأدية وظائفها الفيزيولوجية. ولكن القلب يغذي كل أعضاء البدن وجوارحه... وهو العضو الوحيد الذي لا يتكل على عضو آخر في تأمين غذائه بل يغذي نفسه بنفسه.

- سريان الحياة يبدأ في الإنسان الجنين في الشهر الرابع من حمل الأم ويبدأ بضربان القلب. وكيف جاءت هذه الحياة إلى القلب... لا أحد يعرف. ولو أنَّ التحقيقات العلمية أطلّت على هذه اللحظة العجيبة فلم تر غير بريق كبريق البرق... سبحان الله... كأن القلب هو العضو الوحيد الذي يتصل مع عالم الغيب حيث يستقي منه ظاهرة الحياة العجيبة التي لا

يستطيع البشر أن يفسرها. بل إنَّ البليون نبض تقريباً لكل إنسان من يوم ولادته إلى يوم وفاته لا أحد يعرف مصدر طاقتها المستمرة طوال عمر الإنسان وأنّى له أن يعرف ذلك وهو المعجزة الكبرى وقوّة الغيب رغم استكبار البشر وتغطرسه. وبعد ضربان القلب يبدأ ضخ الدم فيصنع الجوارح واحدة تلو الأخرى حتى يكتمل الجنين.

- مثل الجوارح الوظيفية كالمخ والعين والأذن واليدين والرجلين وغيرها كمثل الأجهزة الكهربائية التي تعمل بقوة الكهرباء كالمروحة والمكيّف والغسالة والطباخة وغيرها. ومثل القلب كمثل الفيوز أو عامل الوصل بين القوة الكهربائية غير المرئية والأجهزة ذات الصفة الوظيفية. أي أنَّ القلب له أكثر من وجه: وجه إلى الأجهزة الوظيفية أو الناسوت ووجوه أخرى إلى عوالم الغيب. وهو بلا شك عامل الوصل بينك وبين الملأ الأعلى.

- أو ما قرأت قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ (سورة الحج الآية ٤٦)... ولقد ذكر القرآن الكريم العضو الذي يتواجد في الصدر تأكيداً بأنَّ المراد ليس عضواً مجازياً.

ما هو عمى القلوب

وسأل جرّاح: كيف نزيل العمى عن القلوب؟

- أيها السائل العمى رين يحجب القلب عن رؤية وجه الله. والقلب السليم يرى الله كما في الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ (٢٣)﴾ (سورة التكوير الآية ٢٣) أو في قول الإمام علي عليه السلام: «رأيته فعرفته فعبدته». أو في الآية التي نزلت في أهل الصفة الذين كانوا يريدون رؤية الوجه الكريم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ (سورة الأنعام الآية ٥٢).

- أيها السائل إزالة العمى تحتاج إلى عملية جراحية لا يقوم بها إلاّ أهلها أو الطبيب الأخصائي الماهر. ويجب أن تتواجد إرادتان: إرادة الأعمى بأن تجرى عليه هذه العملية ومدى ثقته بالطبيب وإرادة الطبيب نفسه ومدى ثقته باستجابة المريض.

- أنظر إلى قول الله عزَّ وجلّ: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾

(سورة المطففين الآية ١٤). فتراكم هذا الكسب هو الذي أوجد عمى الرين. فاعلم أنَّ الأمل كبير لأنَّ هذا العمى ليس من الولادة.

- ثانياً أنَّ الله سبحانه وتعالى طلب من الذين أسرفوا على أنفسهم أن لا يقنطوا من رحمة الله إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ (سورة الزمر الآية ٥٣).

- أيها السائل اطلب من الله أن يعرفك هذا الطبيب الأخصائي الماهر الذي سوف تثق به. يقولون: إنَّ أحداً جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام وسأله كيف أعرف ربي وكيف أعرف نبيه وكيف أعرف حجته؟ فأجاب الإمام عليه السلام: أدع ربّك بهذا الدعاء: «اللَّهمَّ عرّفني نفسك فإنَّك إن لم تعرفني نفسك لم أعرفك، اللَّهمَّ عرّفني نبيّك فإنَّك إن لم تعرفني نبيّك لم أعرفه قط، اللَّهمَّ عرّفني حجتك فإنَّك إن لم تعرّفني حجتك ضللت عن دينك».

الفطرة والطبيعة وما وراء الطبيعة

وسأل تاجر: أيها المعلم ما هي الفطرة وكيف يتأتى الوصول إليها والخروج من الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة؟

- الحقائق البسيطة التي تكلَّم عنها الأنبياء هي أضعف الرموز والدقائق عند البشر لأنَّها تتعلّق بالفطرة التي يتجاهلها البشر ويتناسونها ولا يعيرونها أي اهتمام.

- البشرية غرقى في اكتسابياتها الاجتماعية، وحتى الدقائق العظيمة التي أبلغها الأنبياء يتلقاها البشر ويصيغونها في معادلاتهم الاجتماعية ويعرضونها بالشكل الذي يستسيغونها.

- الإنسان فرار عن فطرته، وبحثه عن الحقيقة يقع في منطقة خارجة عن الفطرة.

- في منطقة الطبيعة يبحث الإنسان عن أشياء ترضي احتياجاته الغريزية مثل الغذاء والمسكن وإنجاب النسل والأمان. . . ولكن احتياجاته في منطقة ما وراء الطبيعة تقع في أبعاد أخرى

أبعد ما تكون عن الشبه بغرائز الطبيعة.

- الخطأ الفادح الذي يقع فيه الإنسان الذي يبحث في منطقة ما وراء الطبيعة هو أنَّه لا يعرف الآلات والوسائل المختصة بهذه المنطقة، أي لا يعرف آليات العمل المختصة بها، فلذلك فهو يعمل بآليات الطبيعة في منطقة ما وراء الطبيعة.

- فمن الطبيعي أن بحثه بهذه الآليات لا يخرجه عن منطقة الطبيعة، فلذلك فهو يبقى أسيراً في فخ الطبيعة. ومثله في ذلك كمثل رجل أراد أن يستفيد من آلات النجارة في بحثه في علم الذرة، أو كرجل أراد أن يستعمل القطار الأرضي للطيران إلى القمر والمريخ والنجوم والمجرات.

- من الطبيعي أنَّه يبقى في الأرض ولا يستطيع الخروج منها، أو أنَّه بآلات النجارة لا يستطيع الوصول إلى مستويات أعلى من العلوم.

- البشرية التي تعمل خارج فطرتها، وتنطلق من قاعدة اكتسابياتها وقشرة إضافاتها... تظن أنَّ في الوجود شيئاً مجهولاً يجب عليها الوصول إليه بالقوة الفكرية. فتنطلق باحثة عن الحقيقة المجهولة ولكن بمعاييرها الفكرية، ثم لا تنتهي إلى نتيجة، وأخيراً تفهم بأنَّها لم تفهم شيئاً وتعلم بأنَّها لم تعلم شيئاً.

- هذا الأسلوب يشمل الفلاسفة والعلماء أيضاً، ولا ينتهي بهم ذلك إلاً إلى الإحباط والفشل.
- قمة العلم والفلسفة تتلخص في كلام الفيلسوف مترلينك وهو أنَّه لا يوجد سرّ في الوجود، وكلّ ما في الأمر هو أننا لا نرى الوجود كما هو، لأنَّ النقص كل النقص هو في فكرنا وعقلنا وحواسنا.

طريقة الأنبياء
في كشف الحقيقة

ويسأل فيلسوف: أيها المعلم فما هو الطريق إلى كشف الحقيقة؟

- نعم الفكر والعقل والحواس ناقصة ومحدودة، ومحاولات الطيران الناقصة بهذه الوسائل لا تودي بنا إلاّ إلى الارتطام بالأرض المحدودة في فشل وإحباط.
- وغني عن الذكر أنَّ قمة العلم والفلسفة هي بداية العرفان الإسلامي.
- إنَّ أنبياء الله قد مرّوا بالمراحل الفكرية، وفي خلال بحثهم عن الحقيقة وواقعيات وجودهم اكتشفوا آليات كشف الحقيقة واستفادوا منها في طريقهم إلى الحقيقة.
- إنَّ الفلاسفة يظنون بأنَّ الحقيقة شيء مجهول ويتوجّب على البشر أن يتوصلوا إليها بأفكارهم وعقولهم، في حين أنَّ الأنبياء قد أعلنوا بأنَّهم قد وصلوا إلى الحقيقة، وإذا أراد أحد

الوصول إليها فليتبع سبيلنا وليحذوا حذونا وليسلك نفس الطريق الذي سلكناه فهو الطريق الوحيد إلى الحقيقة.

- يقول العلماء: إنَّ ما لا نستطيع مشاهدته في المختبر فهو ليس بحقيقة، ولكن الأنبياء يقولون: بأنَّ عين الإنسان وحواسه محدودة والحقيقة مطلقة لا متناهية، وأنَّ الذي تراه بالعين المحدودة ليس بحقيقة كما أنَّ السماء التي تراها العين زرقاء ليست بزرقاء.

- وليت شعري من أولى أن يكون دليلاً إلى الحق والحقيقة؟ ذلك الذي لم يصل إلى الحقيقة ويحسب أنَّ طريق الوصول إليها كذا وكذا... أم ذاك الذي قد رأى الحقيقة ويعرض الطريقة بأن الطريق الذي سلكه ووصل إلى الحقيقة، لهو بحق الطريق الصحيح والصراط المستقيم.

- الحق والحق أقول: ليس السبيل إلى الحقيقة أن نظن بأننا منفصلون عن الوجود ثم نكدح لأن نكتشف سرّ الجهاز المنفصل عنّا، بل الطريق إلى الحقيقة ينطلق من هاهنا: -

«أن تتبلور في وجودنا انقلابات وجودية عظمى وتحولات كيفية وسيعة بهدف الخلاص من أغلال الفكر وقيود العقل وحبائل الأساليب الفكرية ومصائدها التي اكتسبناها من المجتمع وإسقاط كل الإضافات التي طرأت على **فطرتنا**».

تزكية النفس والمحو في الوجود

ويسأل الفيلسوف: أيها المعلم كيف نمحوا انفصالنا عن الوجود ونرى الحقيقة؟

- إنَّ هذا لا يتأتى إلاَّ بعمليات تزكية النفس التي ذكرناها والانقلابات والتحولات والتغييرات الجذرية التي أسلفناها. وبذلك فقط ينمحي الانفصال عن جهاز الوجود، وهنالك ترى حقيقة الوجود كما هي.

- هذه المشاهدة ورؤية الحقيقة تتحقق بعيون غير العيون الحسية وآذان غير الآذان الحسية وآلات إدراك وتلقي غير الآلات الحسية.

- هذه العيون والآذان والجوارح المختصة بعالم ما وراء الطبيعة تنمو وتتكامل في خلال عمليات تزكية النفس الشاقة الشيقة. والحقيقة أنَّ عمليات تزكية النفس الطويلة لا تكون بأي حال من

الأحوال في اختيار الإنسان ومقدوره، وتتحقق فقط بإذن الله ومشيئته.

- وأمّا موضوع الله الذي توصل إليه الأنبياء والأولياء، فإنَّ الله عندهم عيني ومشهود بتمام معنى الكلمة لا ريب فيه، وقد تحقق ذلك بعد سقوط جدران الانفصال. وهذا هو ضالة طالبي الحقيقة.

- وإذا كان العلماء والفلاسفة بصدق طالبي الحقيقة، فما عليهم إلاّ أن يخلعوا الحلل السميكة ويرموها بعيداً عن أنفسهم ويدخلوا منطقة نور الأنبياء والأولياء.

- أيها الراديو اعلم أنَّك جهاز التلقي والإرسال في آن واحد. والعمل الصالح الوحيد الذي يجب عمله هو إزالة الموانع وعوامل العطل والخلل التي طرأت على الجهاز، ثم تنظيمه الكامل على أمواج الوجود الذي يطفح بالفيض.

- الانمحاء في بحر الوجود اللامتناهي هو الطريق الوحيد إلى الفلاح والنجاة والسعادة، وهذا الطريق هو في اختيار مظهر هذا الجهاز وحده، وتتحقق فقط بالتسليم الكامل التلقائي وتفويض الأمر كله إلى قدرة الله اللامتناهية.

وجوب المعلم
في طريق المجردات

ويسأل الفيلسوف: أيها المعلم هل إلى تزكية النفس من سبيل وخاصة إنَّها ليست باختيارنا ومقدورنا كما ذكرت؟

ـ نعم إنَّ موضوع تزكية النفس وشهود الحقيقة من المجردات، والسائرون في هذا الطريق لم يتركوا آثار أقدامهم. ومثل ذلك كمثل الماء اللطيف في بحر عظيم لا يترك السائرون فيه آثار أقدامهم.

ـ فكيف ينجو الضال المسكين الذي وقع في هذا البحر الزاخر ولا يعرف طريق نجاته إلى الجزيرة ولا يرى آثار أقدام على الماء؟

ـ فإذا وجد السائر الذي سلك طريقه من قبل إلى الجزيرة وعاد منها... يستطيع أن يأخذ بيد الضال ويدلّه على جزيرة النجاة.

ـ فما بالك بالمجردات التي هي أصعب من ماء البحار؟

- من الطبيعي أنَّه لا بدّ من رائد من الرواد سلك الطريق من قبل وأحاط بالكامل بكل طرقها وأزقّتها ومنعطفاتها؟ . . . هو الوحيد الذي يستطيع أن يكون دليلاً للطالبين لله السائرين إليه .

- فانظر كم هو صعب وشاق التقدم، من دون معلم، في العلوم الظاهرية التي هي محسوسة وملموسة. . . فما بالك بالسير والسلوك في المجردات والعلوم الباطنية من دون معلم؟

- فاعلم أيها السائل أنَّ سبيل الله كالخيط الرفيع، وهو صراط أدق من الشعرة وأحدّ من السيف، ترتعد عليه الأقدام وتنزلق، ويصعب عليه سير السائرين. وأكثرية السالكين تسقط عنه ولا تثبت، والقلة القليلة تبقى في خط العدل، وتسير إلى النهاية وتصل. . . فطوبى لهم.

- واعلم أنَّ الروح المفلح يجب أن يكون أخف من ريش الحمام وأثبت وأصمد من الجبال، وإذا أراد أن يصل، وكان أهلاً لذلك، فليسلم أمره للمعلم ـ كالميت في يد الغسال ـ حتى يوصله إلى المنزل المقصود.

- واعلم أنَّ التسليم أو الطاعة شيء سهل بسيط في لفظه ولكنه صعب جداً في العمل، لأنَّ استئصال العناد والطغيان ليس بالشيء السهل. فطوبى لمن تحرر من العناد والطغيان والعصيان واستقرّ في دين الإسلام والتسليم والتصديق.

ذنوب السالكين

فسأل أحد السالكين: أيها العبد الصالح نرتكب ذنوباً ثم نندم عليها ثم نعقد العزم على أن لا نرتكبها مرة ثانية، وكل ذلك يحدث رغم تعهدنا لله بعدم ارتكاب الذنوب. فما حكم السماء على ذلك؟

- أيها السائل رب ذنب قربك إلى الله زلفى، وربّ طاعة أحدثت عجباً، فصرت مرجوماً من رحمة الله. فاعلم بأنَّ معصية تذل بها علينا خير من طاعة تدلّ بها علينا.

- أو ما سمعت قول سيد الرسل محمّد ﷺ: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم بأشد من ذلك العجب العجب».

- أو ما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ (سورة آل عمران الآيتان ١٣٥ ـ ١٣٦).

ـ فإيّاك إيّاك من العجب، فذلك سخط الله يفصلك عن الله ويحجبك عن رحمة الله وذكر الله والنجوى إلى الله.

ـ ولكن هات ما عندك من الذنوب ذنباً ذنباً.

فقال السالك: ربما داخلني القلق وعدم الارتياح.

ـ أدع ربك هكذا: «إلهي أنزل السكينة عليّ وادرأ عني القلق وعدم الارتياح والكدورات الباطنية، فإنّها والله عقابي على معصية الاعتراض على مشيئتك. فأنت ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ . . . ولو كنت في نور (يوم الدين) لما عرفت غيرك ملكاً ومالكاً وصاحب مشيئة، ولا تجري الأمور إلاّ بمشيئتك، والخير والشرّ بمشيئتك، وإذا برز في باطني اعتراض على ذلك كانت عقوبته القلق وعدم الارتياح والكدورة الباطنية. فأنت القائل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٩٩). أو كما قال عيسى عليه السلام: «فلتحكم مشيئتك في الأرض كما تحكم في السماء».

فقال السالك: ربما داخلتني خواطر الحقد والانتقام، لأننا نعيش في خضم المجتمع وربما وقع علينا ظلم أو استغلال.

ـ أدع ربك هكذا: «إلهي املأ وجودي بالعشق والمحبة حتى لا

يبقى في وجودي مثقال ذرّة من الحقد وطلب الانتقام لأي أحد مهما زاد ظلمه عليّ وكبرت إساءته إليّ. فلقد أوصانا رسولك الأعظم ﷺ أن نصل من قطعنا ونعفو عمّن ظلمنا ونحسن إلى من أساء إلينا. إلهي إن ثوابك على العشق والمحبة هو السعادة والسكينة والطمأنينة، وعقابك على الحقد وطلب الانتقام هو القلق والتواترات والتشنجات وعدم الطمأنينة، فأنت عادل وسريع الحساب. وأنت القائل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾ (سورة الزلزلة الآيتان ٧ ـ ٨).

فقال السالك: ربما داخلني شيطان الكبر والغرور لوجود بقايا من تربية الماضي.

- أدع ربك هكذا: «إلهي طهّر وجودي كلّه من الكبر والغرور والتكبر والتجبر ورؤية الذات وعظمة النفس. فالغرور ليس هو إلاّ التورط في مصيدة النفس، وما دمت سجين النفس والطبع فلن أستطيع رؤية وجهك الكريم والوصول إلى بركات فيضك ورحمتك. إلهي ارزقني التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود ونجني من الكبر حتى أدخل عوالم نورك. إلهي لا تبق في قلبي مثقال ذرة من الكبر، فلقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من الكبر».

فقال السالك: وماذا أفعل بالجهل فإنَّها ظلمات بعضها فوق بعض.

- أدع ربك هكذا: «رب زدني علماً وألحقني بالصالحين» فإنَّه كان الورد المحبب في الفم الطاهر لحبيب الله محمّد ﷺ. وقل: «إلهي ما لي كلما طرأ عليّ القلق وعدم الاستقرار اتهمت هذا وذاك وأشرت بإصبع الاتهام إلى العوامل الخارجية ونسيت نفسي فأنا المتهم وليس غيري. فاستبدل جهلي وحماقتي علماً ونوراً، وطهرني من نشوز الخواطر وبعثرة الأفكار حتى أرد إلى عالم التوحيد والجمع والتركيز والمحو الكلي في الوجود».

التدبير والاختيار

فقال السالك: ربما غلبتني الأنانية وفكّرت بأنني منبع التدبير والاختيار جهلاً وحماقة، وكما قال قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ (سورة القصص الآية ٧٨).

- أدع ربك هكذا: «إلهي أغنني بتدبيرك لي عن تدبيري وباختيارك عن اختياري. إلهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل أقالني منها فضلك».
- ومَن تكون أنت حتى تظن بأنك محور الدنيا وأنَّ الأمور لا تستقيم ولا تتدبر إلاَّ بوجودك. مضت البلايين من السنين واستقامت الأمور بدونك، وستأتي البلايين من السنين وتستقيم الأمور بدونك... وأنت في هذه البرهة القصيرة من عمرك تظن بنفسك ما تظن.
- كم هو سخيف تورطك في عظمة نفسك يا أيها الجاهل الأحمق. لم تأت إلى الدنيا باختيارك، ولا تموت عنها باختيارك، ولا تعيش باختيارك، ولا تعمل حواسك وجوارحك باختيارك.

- هل لك سلطان على دقات قلبك، ونظام هضمك وأمعائك، ونظام رئتيك وتنفسك المستمر، وكليتيك والكبد ذات الوظائف العديدة، وجريان دمك، ونظام عروقك وشرايينك التي هي بطول محيط الأرض أضعافاً مضاعفة، وحرب البكتيريا والفيروسات في جسمك، ونظام عظامك ومفاصلك وعضلاتك وأعصابك ومخك وجلدك، وبلايين البلايين من خلاياك، وحاسة شمك ونور بصرك ونعمة سمعك ولسانك وشفتيك وأسنانك ولحمك ودمك؟؟؟

- هل لك سلطانٍ على باطن مكنون ضميرك، وعلائق مجاري نور بصرك، وأسارير صفحة جبينك وخرق مسارب نفسك[١]، وخذاريف مارن عرنينك، ومسارب سماخ سمعك، وما ضمت وأطبقت عليه شفتاك، وحركات لفظ لسانك، ومغرز حنك فمك وفكك، ومنابت أضراسك، ومساغ مطعمك ومشربك، وحمالة أم رأسك[٢]، وبلوع فارغ[٣] حبائل عنقك، وما اشتمل عليه تامور صدرك[٤]،

---

(١) ثقب وأقنية الأنفاس.
(٢) المخ.
(٣) قناة الابتلاع داخل.
(٤) حفرة صدرك.

وحمائل حبل وتينك، ونياط حجاب قلبك[1]، وأفلاذ حواشي كبدك، وما حوته شراسيف[2] أضلاعك وحقاق مفاصلك[3]، وقبض عواملك[4]، وأطراف أناملك، ولحمك ودمك، وشعرك وبشرك، وعصبك وقصبك، وعظامك ومخك، وشرايينك وعروقك، ونومك ويقظتك، وسكونك وحركاتك؟؟؟[5].

- يا أيها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم.

- استثمر هذا العمر القصير الذي منحته في معرفة الله، والاستقرار في جوار الله في عالم الخلود، وأن تغرف من ماء الحياة، والمحو في السعادة الربانية.

- واعلم أنَّ الدنيا متاع ولهو ولعب وأنَّ الآخرة لهي الحيوان.

- واعلم بأنَّك جاهل والله العالم، وأنَّك فقير إلى الله والمسكين البائس الحقير. ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (سورة القصص الآية ٢٤).

---

(١) ما تعلقت بالقلب.

(٢) الانعطافات والالتواءات.

(٣) حفر المفاصل.

(٤) انقباض العضلات.

(٥) وهذه الفقرة مستقاة كلماتها من دعاء العرفة للإمام السبط الحسين عليه السلام.

- إن كنت في مستوى البدن وأثقاله فأنت في قبور الأموات، وإن كنت في خفة الروح وشفافيته فأنت في أعلى عليين.

- فعش أنت وجميع خلاياك في جهة واحدة نحو الله والأمل في رحمته ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ (سورة يوسف الآية ٨٧).

بلاء الله

فقال السالك: وذنوب أخرى كعدم الشكر على بلاء الله ومصائب الدنيا.

- لا تنس أيها التلميذ ما كان يقوله أبو عبد الله الحسين عليه السلام وهو على رمضاء كربلاء يناجي ربّه: «رضا برضاك تسليماً لقضائك صبراً على بلاك لا معبود سواك». ولا تنساه وهو يناجي ربّه في يوم عرفة: «إلهي خر لي في قضائك وبارك لي في قدرك».

- ولا تنس أنَّ المصائب عقوبة ذنوبك حتى تستيقظ من نومك وترتدع عن ذنوبك ومعاصيك. أو أنَّ الله يقدم قرباناً حتى تستيقظ الأمة جمعاء وترتدع عن ذنوبها ومعاصيها كما حدث للأنبياء والأئمة وأولياء الله عليهم الصلاة والسلام.

- أدع ربك هكذا: «إلٰهي إني لأعلم علم اليقين أنَّ المصائب التي تقع عليّ هي بنظري مصائب ودواءٍ، ولكنها امتحانك

وبلاؤك حتى أسارع إلى بناء الإنسان الكامل المكمل في وجودي، وحتى أصل إلى قربك وأتصل بنورك وأرى وجهك وألقاك في وصل العاشقين الوالهين».

- إلهي ألطف بي في قضائك وقدرك وعلمني بلطفك، وإن كنت قد قضيت ببلائي وامتحاني فاجعل نارها عليّ برداً وسلاماً وبارك لي في قدرك وتغمدني برحمتك وبركاتك.

موتوا قبل أن تموتوا

فقال السالك: أيها العبد الصالح لقد علمتنا الموت الاختياري، ولكننا ربما نتمايل إلى الحياة الفانية والعلائق الدنيوية.

- إسمع أيها التلميذ لقد علمنا جميعاً رسول الله ﷺ: «موتوا قبل أن تموتوا» وما أنا إلاً عبد من عبيده وتلميذ من تلامذته.

- هذا الموت هو قطع حبال العلائق والرغبات والغرور والأنانية والحقد والجدال والاستكبار وكل ما يبقينا في مصيدة الدنيا الدنية.

- هذا الموت هو الحكومة على النفس والغرائز حتى تخرج من عبودية نفسك وغرائزك إلى عبودية الله وحده.

- هذا الموت الاختياري هو الإنابة والتبتيل إلى الله والتجافي عن غير الله كائناً ما كان. فهو الأول والآخر والظاهر والباطن.

- فانقطع إلى الله وتبتل إليه تبتيلاً، واشكره بكرة وأصيلا على نعمة الحب التي أغدقها عليك، حب الله ورسوله وآله الطاهرين. فهو الذي كرمك بالتلمذة والطاعة والتسليم وهداك إلى الصراط المستقيم.

- أيها الناس أما آن الأوان لكي تعرفوا بأنكم تعيشون في السراب؟

- أليست زخارف الدنيا وزبرجها ومتاعها الفاني سراب؟؟

- أليست الأفراح والأتراح والأنانيات والكراهيات سراب؟؟

- أليس حب المال والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة سراب؟؟

- أليس التبعثر في أفكار الدنيا والدوران في فلكها سراب؟؟

- أليس حب الدنيا وحب الجاه والمقام وحب النساء سراب؟؟

- لقد ورثتم هذا عن آبائكم، وهم قد ودعوها الوداع الأخير رغماً عنهم، ورحلوا إلى عالم العظام الرميمة مجبرين منقادين لا حول لهم ولا قوة... وكذلك تفعلون.

- أليس من الأفضل أن تتركوها اختياراً وتفرغوا قلوبكم من تعلقاتها وتجعلوها بيت الله طاهرة منقطعة إلى الله وحده.

فرأى يقظان أنَّ الأسلوب الوحيد الناجع لقطع حبال التعلقات بالأرض إنَّما هو الموت الاختياري، وبذلك تنطلق الروح كانطلاقة البالون في الفضاء. فالرسول ﷺ يقول: «موتوا قبل أن تموتوا». ففي الموت العادي يجبر الإنسان على ترك ماله وتركاته إجباراً وتبقى تعلقاته القلبية متشبثة بروحه تقيدها في متاهات العالم الأرضي وفي البرزخ وتمنعها من العروج. أمَّا في الموت الاختياري فالسالك يمارس حالات الموت والندامة التي صورها الله تعالى بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ﴾ (سورة المؤمنون الآية ١٠٠) فيرجع لكي يعمل صالحاً فيما ترك. وهذه الممارسة المستمرة توصله إلى بغيته المنشودة. وشتّان ما بين هذا الموت والموت الذي يتمناه رجل الدنيا حين يحرم إجباراً من متاعه الدنيوي بسبب مرضه أو شيخوخته أو مشاكله المالية وغيرها فروحه لازالت مثقلة بسلاسل حب الدنيا ومتاعها وهذه هي ملكاته التي ينتقل بها إلى الآخرة. في حين أنَّ السالك ينمي في نفسه ملكات الطهارة والسمو عن العوالم السفلى وينمي حب الله وعشقه والفناء فيه ثم البقاء معه. وينتقل العارف بهذه الملكات الملكوتية والجبروتية واللاهوتية إلى دار الآخرة، دار الخلود والسلام.

العروج

وتذكر يقظان رسالة الوالد عن السير والسفر والسياحة في السموات السبع فأشعلت فيه الحماس والعشق ومارس ذكر الله كثيراً حتى أشبعت روحه بعطر الله وجلاله. لقد علم يقظان علم اليقين بأنَّ نداء المعرفة هو المحرك لروح الآدمي وهو الذي يحث الإنسان على مبارزة الأعداء الذين عاشوا في أكنافه مستريحين هادئين موفقين. وعلم أنَّ المعرفة هي الإكسير الذي يحول الحديد إلى ذهب ويحول البهيمة إلى ملاك وأنَّ الحقيقة مستحيلة في عالم الطبع وردود الأفعال المنبثقة عن النظام العصبي التي يعيش البشر في سجونها المظلمة. فإذا أردت النبع الزلال والحقيقة المطلقة فيجب تحرير الحقيقة من سجن الطبع المخيف: «ربِّ أرني الحقيقة كما هي» (من كلام رسولنا محمّد ﷺ). يجب تحرير الحقيقة من الحب والبغض ومن ميول النفس وعواطفها وتحيزاتها وتعصباتها. لقد كان يقظان يقول: «كنت أرى نفسي في صور شتّى والحقيقة أنّي لم أكن واحداً منها وأنَّ بضاعتي لم تكن تتجاوز مطامع النفس ورغباتها والظنون التي كنت أحسبها علماً».

واجتمعت الملائكة وتشفعوا له قائلين: «لقد ابتعد عن حضرتك جاهلاً، الطرق المعوجة ممر أقدامه ومعبر مسيرته، لقد تبدل يقينه وثقته إلى ظنون، افتح قفل قلبه وثبّت الإيمان في صدره واجعل قلبه واقفاً على أعماله عالماً بها، واجعل قلبه خاشعاً مستسلماً، وامنح لسانه الصدق وخلقه الاستقامة، واجعل أذنه صاغية واعية وعينيه مبصرتين، وأضف عليه من حماسك واكلأه برعايتك، ولا تأخذه بعظيم ذنوبه حتى يجد السبيل لذاتك بسهولة ويسر. لقد غرق في عرق خجل ذنوبه وأخذ يرسل اللعنات على دعوى الظالمين المفسدين. أوصله إليك بهداية النجوم الهادية للحيارى والتي يدرك بها الضالون طريقهم وسط ظلمات الليل البهيم. واجعل الولي المرشد في طريقه فإنَّك القائل: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (سورة الكهف الآية ١٧)» وأدرك يقظان أنَّ اللذة في ترك اللذات وصار قلبه ملجأه وملاذه وصارت البلاد المقدسة موعده ومقصده. وظهرت كنوز التجلي في قلبه وأضحى مدركاً لكلمات الكتاب، ووضع قدمه في سفينة النجاة، وقرأ الكتاب بيمينه، ولكنه ليس كالهالكين الذين ملأوا كلمات القديسين بألف باء النفس. وفني في الله حبّاً وعشقاً وضاع منه اسمه ورسمه ودرست الرسوم والمعالم واضمحلّت الأشكال في رمل الصحراء وعادت القطرة إلى البحر وردت الأمانات إلى أهلها.

الفهرس

هذا الكتاب

«العرفان طريقك إلى الزلفى وقرب الله، يعيدك إلى أصلك وفطرتك وفي جوار الله ولطائف مناجاته وبينات حقائقه، يضيىء وجهك بلمعات برق القرب وهيبة الجلال وعزة الاقتدار، ويتوجك بتاج الكرامة والوقار، ويسبغ عليك من نور اسم الله هيبة وسطوة تنقاد لك القلوب الأرواح، وتخضع لديك النفوس والأشباح، يؤيد ظاهرك في تحصيل مراضي الله، وينور قلبك وسرك بالاطلاع على مناهج مساعي الله، ويختطف أبصار الظالمين عنك بنور قدس الله وجلال مجده، وشرطه الإخلاص والانقطاع إلى الله والتجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود».

دار المحجة البيضاء

حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان - ص.ب: ١٤/٥٤٧٩
تلفون: ٢٨٧٦٧٩/٠٣ تلفاكس ٥٥٢٨٤٧/٠٧